بسم الله الرحمن الرحيم

اللغة الأكدية وأسلوب نطقها الصحيح

أ.د. عامر سليمان (*)

اللغة الاكدية مصطلح يطلق على جميع اللهجات الاكدية والبابلية والآشورية والكلدية التي شاعت في بلاد الرافدين خلال ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة سبقت الميلاد. وهو مصطلح قديم استخدم منذ الألف الثالث قبل الميلاد للدلالة على لغة الأقوام التي أسست ما عرف بالمملكة الاكدية (حدود ٢٣٧١ – ٢٢٣٠ ق.م) وكانت قد جاءت أصلاً من شبه الجزيرة العربية إذ ورد في النصوص المسمارية بصيغة لِشان اكّدِم Lišān Akkadim أي: 'اللسان الاكدي' أو 'اللغة الاكدية'.

وقد بطل استخدام آخر اللهجات الاكدية قبيل بدء التاريخ الميلادي أو بعده بقليل، إذ يرقى تاريخ آخر النصوص المسمارية الاكدية إلى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، وغابت اللغة الاكدية عن الأسماع ولم يعد هناك من يتحدث بها إذ حلّت محلها اللغة الآرامية وغيرها من اللغات الأقل أهمية، كما غابت نصوصها المسمارية التي دون معظمها على ألواح الطين والحجر عن الأنظار واختفت في بطون التلول الأثرية والمدن القديمة وتراكمت عليها الأتربة والأنقاض

(*) عضو المجمع العلمي وأستاذ في قسم الآثار / جامعة الموصل

لمئات من السنين حتى آن لها أن تظهر ثانية في العصر الحديث اثر القيام بعمليات التحرّي والتنقيب في المواقع القديمة في العراق وما جاوره من البلدان[1]. وانكبّ الباحثون الأجانب الذين كشفوا عن الكتابات المسمارية ونقلوا عددا منها إلى أوربا على دراسة تلك الكتابات ومحاولة فك رموزها وقراءة مضامينها. وقد تمكنوا فعلا من تحقيق ذلك في أواسط القرن التاسع عشر وأزاحت قراءة تلك النصوص الستار عن وجه حضارة عدّها الباحثون الأجانب أنفسهم إحدى اعرق الحضارات البشرية المعروفة حتى الآن إلا أنها كانت مجهولة لديهم ومطمورة بقاياها في التلول والمواقع القديمة الكثيرة المنتشرة في أرجاء بلاد الرافدين[2].

إن من باب الوفاء إلى اللغة الاكدية ونصوصها المسمارية التي حفظت لنا حضارة العراق القديمة والأصيلة لالاف من السنين أن نولي دراستها اهتماما ولا سيما أنّه ثبت للباحثين أن اللغة الاكدية هي شقيقة اللغة العربية من حيث الأصل والانتماء وربما كانت فرعا من فروع اللغة العربية، وليست الأصل كما يظن البعض خطأ، وفي كلتا الحالتين فإنهما تنتميان إلى فصيلة 'اللغات العاربة' التي كانت تسمى خطأ باللغات السامية أو الجزرية، وان دراستها، إلى جانب أهميتها التاريخية، ستعين الباحثين على توضيح الغموض الذي يكتنف العديد من الصيغ النحوية والظواهر اللغوية العربية، مثل ظاهرة الاعراب[3]، ويساعد على تأصيل

(١) ينظر حول تفصيل ذلك، سليمان، عامر، الكتابة المسمارية، موصل، ٢٠٠١.

(٢) ينظر تفاصيل المراحل التي مر بها الباحثون في فك رموز الكتابات المسمارية بحث كيلهامر، لونس، الموسوم 'حل رموز الكتابة المسمارية' الذي ترجمه إلى العربية د. محمود الامين في سومر، ١١، ١٩٥٦، ص ٩٠ - ١٠٠.

(٣) ينظر مثلا: سليمان، عامر، اللغة الاكدية، موصل، ١٩٩١، ص ٦٣ – ٦٥.

الوافر من المفردات اللغوية التي أرجعها اللغويون العرب القدامى إلى لغات أجنبية لا تمت بصلة إلى اللغة العربية، مثل اللغات اليونانية والرومية والفارسية وذلك لعدم معرفتهم بلغات العراق القديمة السومرية والاكدية، في حين اثبتت الدراسات الحديثة إن كثيرا من تلك المفردات هو إما أصيل في اللغة العربية وليس بدخيل، أو انه من تراث اللغات العراقية القديمة(٤). إن هذا الدور الذي ستقوم به اللغة الاكدية في فهم ما غمض علينا فهمه في اللغة العربية ناتج عن حقيقة أنها اقدم لغة عاربة من حيث تاريخ التدوين.

وإذا كانت هذه هي أهمية اللغة الاكدية التاريخية واللغوية، فان من واجبنا دراستها دراسة علمية دقيقة ومعرفة أسلوب نطقها الصحيح كما كانت عليه على ألسنة المتحدثين بها في العصور القديمة من بابليين وآشوريين وغيرهم كي يمكن بعدها عقد المقارنات بينها وبين بقية اللغات العاربة التي ما زال عدد منها يستخدم لغة كلام وتدوين حتى الوقت الحضر وفي مقدمتها اللغة العربية بلهجاتها المختلفة. إلا أن ذلك يعد من اكثر الأمور تعقيدا وصعوبة وفي الوقت نفسه من أكثرها إثارة للأسئلة والاستفسارات عن مدى دقة ما وصل إليه الباحثون الذين قالوا انهم قرؤوا النصوص المسمارية قراءة دقيقة وعرفوا مضمونها ومن ثم عدّوا دراسة تلك النصوص وترجمتها علما من العلوم المعترف بها أسموه علم الآشوريات

(٤) ينظر البحث القيم لأستاذنا المرحوم طه باقر الموسوم: من تراثنا اللغوي القديم، بغداد، ١٩٨٠ الذي جمع فيه عددا كبيرا من المفردات اللغوية العربية الفصحى والعامية ذات الأصول السومرية أو الاكدية.

Assyriology نسبة إلى بلاد اشور التي زودتهم بأول النصوص المسمارية وأكثرها روعة ووضوحا.

إن في هذا البحث محاولة متواضعة لتسليط الضوء على ما يعترض الباحثين من عقبات في معرفة أسلوب نطق اللغة الاكدية الصحيح ودعوة للعمل على تجاوزها والسبل المقترحة لتذليلها.

بدء لابد من تقديم فكرة مقتضبة جدا عن كيفية توصل الباحثين الروّاد إلى معرفة نطق اللغة الاكدية التقريبي وقراءة نصوصها المسمارية، هو السؤال التقليدي الذي يسأل عنه كل متخصص باللغات العراقية القديمة. إن الجواب على ذلك يعني إيجاز الجهود المضنية والمثابرة التي قدّمها الباحثون الروّاد لعشرات من السنين حتى تمكنوا من قراءة النصوص المسمارية ومعرفة لغاتها السومرية والاكدية. وقد استعان أولئك الباحثون بنصوص ثنائية اللغة والخط وأخرى ثلاثيتها من التي عثر عليها مدونة على قواعد تماثيل عدد من الملوك والحكام إلى جانب النص المهم المنقوش على سطح جبل بهستون القريب من مدينة كرمنشاه في ايران الذي كان المفتاح الرئيسي الذي قاد الباحثين إلى حل رموز الكتابة المسمارية البابلية تماما كما كان حجر الرشيد في مصر مفتاح قراءة الخط الهيروغليفي واللغة المصرية القديمة. لقد اعتاد الملوك الاخمينيون تدوين نصوصهم الملكية المهمة باللغات الأكثر أهمية وانتشارا في مناطق نفوذهم، وحيث أن اللغة الاكدية بخطها المسماري البابلي كانت اكثر اللغات المستخدمة آنذاك أهمية وانتشارا، فقد دونت

النصوص الملكية بها وبخطها المسماري إلى جانب اللغة الفارسية الرسمية التي دونت هي الأخرى بخط مسماري مقتبس من الخط البابلي(٥). كما نقش النص الملكي على سطح جبل بهستون بخط ثالث، هو الخط العيلامي القديم الذي لم تعرف قراءته الكاملة بعد، وهو خط مسماري أيضا. فإذا عرفت قراءة النص المكتوب بإحدى الكتابات الثلاث وأمكن تحديد العلامات التي تمثل أسماء الأعلام الواردة، وهي أسماء الملوك وألقابهم المتكررة عادة، أمكن التكهن بأسلوب قراءة العلامات المقابلة في النص الثاني إذ أن قراءة أسماء الأعلام لا يتغير كثيراً في اللغات المختلفة والخطوط المختلفة، وهذا ما استعان به الباحثون عندما قرؤوا نص بهستون إذ كان بعضهم يعرف كيفية نطق اللغة الفارسية القديمة التي دونت بأحد الخطوط المسمارية الثلاثة وذلك من خلال كتاب الفرس المقدس، الافستا. ومن خلال المقابلة بين النص البابلي المدون بالعلامات المسمارية البابلية والنص الفارسي المدون بعلامات مسمارية مختلفة، أمكن تحديد العلامات التي دونت بها أسماء الملوك وألقابهم، وكانت تلك هي الخطوة الأولى في فتح ثغرة للنفوذ من خلالها إلى قراءة العلامات المسمارية البابلية المعقدة وقد تمكن الباحثون من توسيع تلك الثغرة حتى تمكنوا فعلاً من قراءة النص البابلي. وللتأكد من صحة ما توصلوا إليه من قراءات، استعانوا باللغات العاربة الأخرى، ولا سيما العبرية والآرامية، بعد أن تبين لهم أن اللغة الاكدية تنتمي إلى الأصل نفسه الذي تنتمي إليه هذه اللغات وان هناك تشابها كبيراً بين اللغات العاربة في اللفظ والتركيب والمفردات. وهكذا

---

(٥) ينظر تفصيل ذلك:

Voices in the Stone, Ernst Doblhoffer, Great Britain, 1957, English Translation, 1961, pp. 121 ff.

أعلن عن قراءة النصوص الاكدية ـ البابلية الآشورية ـ وعن فك رموز الكتابة المسمارية في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي.

لقد كان هدف الباحثين الأول من قراءة النصوص المسمارية البابلية والآشورية معرفة مضامين تلك النصوص وما تضيفه من معلومات جديدة عن تاريخ العراق القديم وتاريخ المنطقة برمتها وخاصة عندما نبين لهم أن هناك نصوصاً مسمارية تتحدث عن قصص وأخبار ورد ذكرها في أسفار العهد القديم، كتاب اليهود المقدس، وان ورود تلك القصص والأخبار في نصوص قديمة كالنصوص المسمارية فسّر على انه دليل على أصالة ما ورد في كتاب العهد القديم وصحته، ولم يكن يهم الباحثين الأجانب كثيرا أن يعرفوا كيفية نطق اللغة الاكدية بلهجاتها المختلفة وكيف كانت تلك اللغة على ألسنة المتحدثين بها طالما لم يكن ذلك ليضيف شيئاً جديداً على مضامين النصوص المسمارية.

وبعد أن فك الباحثون رموز الكتابة المسمارية كان عليهم أن يجدوا طريقة سهلة لتدوين تلك النصوص المدونة بعلامات مسمارية لا يعرف قراءتها إلا عدد محدود من الباحثين إلى القارئ المعاصر ولما كان الخط اللاتيني هو اكثر الخطوط شيوعاً في أوروبا وايسرها تعلماً فقد استخدم لتدوين اللغة الاكدية بعد أن حاول الباحثون تكييفه لنقل أصوات اللغة الاكدية الغريبة عن اللغات التي تستخدم الخط اللاتيني لتدوينها عادة، ووجدوا صعوبة كبيرة في ذلك، إذ أن الخط اللاتيني لا يضم رموزاً تعبّر عن الأصوات الحلقية والمفخمة أو المشدّدة التي تزخر بها اللغة الاكدية مما اضطرهم إلى ابتداع رموز واشارات أضيفت على الخط اللاتيني واصطلح على ما تمثله من أصوات أو معانٍ لتغطية النقص وتجاوز الصعوبات. وكانت

النتيجة أن قدمت النصوص المسمارية الاكدية إلى القارئ المعاصر بخط لاتيني، بإشاراته ورموزه المضافة والتي لا يعرف قراءتها إلا عدد محدود من الباحثين والدارسين وضمن نطاق دائرة ضيقة من الباحثين، فابتعدت اللغة الاكدية ونصوصها المسمارية تدريجياً عن القارئ العربي حتى غدت نصوصها غريبة عليه بشكلها الخارجي وزيّها الأوربي، وراق ذلك لعدد من المختصين إذ غدت اللغة.

الاكدية وكتابتها المسمارية أو اللاتينية سرا من أسرار المهنة لا يعرفه إلا الراسخون في العلم. وبالأمس فقط وأنا أناقش أحد طلبة الدكتوراه في الحاسوب الإلكتروني الذي كانت لديه الجرأة والشجاعة أن يكتب عن العلامات المسمارية وإمكانية تميزها حاسوبيا، طلب احدهم أن اقرأ له عددا من الكلمات الاكدية لأنه، وهو عراقي، لا يتمكن من قراءتها وهي مدونة بالخط اللاتيني الذي تعارفنا على استخدامه.

كما ابتعدت اللغة الاكدية عن المختصين باللغة العربية والباحثين في فقهها ونحوها وصرفها وتأصيل مفرداتها ولا سيما أن جميع المعاجم الحديثة التي ظهرت عن اللغة الاكدية كانت بلغات أجنبية دونت بها اللغة الاكدية بالخط اللاتيني – وسلسلت مفرداتها وفق المنهج الأوربي في تأليف المعاجم.

إن من يمعن النظر في نصوص اللغة الاكدية المدونة بالخط اللاتيني يعجب للاختلاف الظاهري الكبير بين اللغة الاكدية المدونة وبين شقيقاتها اللغات العاربة الأخرى ولا سيما اللغة العربية كما إن أصوات اللغة الاكدية تبدو عند قراءتها

وخاصة من قبل الأجانب أنّها لا تشبه أصوات أي من اللغات العارية الأخرى فهل إن ذلك ناتج عن اختلاف جوهري بين اللغة الاكدية وبقية اللغات العارية أم انه اختلاف ظاهري أملته طبيعة الكتابة المستخدمة قديما وحديثا لتدوينها وما نتج عن ذلك من تأثيرات واضحة على اللغة المدونة؟ إننا نعتقد أن الاحتمال الثاني هو التفسير الوحيد لسبب الاختلاف الظاهري بين اللغة الاكدية وبقية اللغات العارية، فلقد قاست اللغة الاكدية عند تدوينها أول مرة بالعلامات المسمارية ما قاسته عند تدوينها في الوقت الحاضر بالخط اللاتيني إذ أن العلامات المسمارية التي ابتدعها السومريون، وهم اصحاب لغة خاصة فريدة لا تشبه اللغة الاكدية أو أي من اللغات المعروفة وتخلو من كثير من الأصوات الحلقية والمشددة الموجودة في اللغات العارية، لم تكن ملاءمة تماما لتدوين اللغة الاكدية ومع ذلك كيّف الكتبة القدامى الكتابة المسمارية لتدوين اللغة الاكدية وابتدعوا طرقا ووسائل عدة لتحقيق ذلك[٦] وفي الوقت نفسه كيّفوا اللغة الاكدية وطوّعوها لكي يمكن تدوينها بالكتابة المسمارية فجاءت اللغة الاكدية المدونة بالخط المسماري مختلفة عن اللغة الاكدية التي كانت على ألسنة المتحدثين بها، وهو أمر طبيعي جدا إذ أن الكتابة بأحسن صورها وأدق تعبيراتها لا تعبّر عن أصوات اللغة تعبيرا دقيقا فكيف إذا كانت الكتابة المستخدمة لتدوين اللغة هي كتابة ابتدعت أصلا لتدوين لغة أخرى مختلفة عنها تماما؟ إلى جانب ذلك، لم تكن الكتابة المسمارية منتشرة الاستخدام بين السكان بل كان العارفون بالكتابة من المتعلمين يمثلون نسبة ضئيلة جدا من السكان فقط لذا

(6)Gelb, I, J., A Study of Writing, London, 1952, pp 68.

كان تأثير أسلوب تدوين اللغة على السكان محدود إذ ظل الناس ينطقون لغتهم بأسلوب نطقها الصحيح دون التغيير والتكييف الذي استلزمه تدوينها كما ظلت اللهجات الاكدية الكثيرة التي يفترض انها كانت موجودة على ألسنة المتحدثين باللغة الاكدية في الأماكن المختلفة والعصور المتتابعة مجهولة لدينا إلا بالقدر الذي يظهر على النصوص المدونة، وهو قليل ومحدود وان الحديث عن اللهجات البابلية القديمة والوسيطة والحديثة والمتأخرة إنما هو معتمد على تاريخ النصوص المسمارية المكتشفة والتي تظهر اختلافات جزئية[٧] إلا أنها لا تعبّر تعبيراً دقيقاً عن اللهجات المحكيّة التي كانت سائدة في بلاد بابل واشور والمناطق الأخرى التي انتشر فيها استخدام اللغة الاكدية.

إننا نرى أن التعرف على أسلوب نطق اللغة الاكدية الصحيح وهو الأسلوب الأقرب إلى اللغة كما كانت على ألسنة المتحدثين بها يجب أن يأخذ بالحسبان.

➢ تجريد اللغة الاكدية المدونة بالخط اللاتيني من سلبيات الخط اللاتيني الذي لا يعبّر عن كثير من الأصوات الاكدية المميزة للغات العاربة، ومنها اللغة الاكدية وتدوينها، بعد تثبيت أسلوب نطقها الصحيح، بالخط العربي الذي نعتقد انه اكثر الخطوط ملاءَمة لتدوين اللغة الاكدية إذ انه وجد لتدوين لغة عاربة شبيهة باللغة الاكدية وهي اللغة العربية.

(7) Soden, Von, Grundriss der Akkadischen Grammatic, Analecta Orientalia, 33, Rome, 1952, pp. 2-4

➢ تجريد اللغة الاكدية المدونة بالخط المسماري من سلبيات الخط المسماري الذي اثر على اللغة الاكدية عند تدوينها وطوّع كثير من الأصوات الاكدية مما نتج عنه اختفاء العديد من الأصوات الحلقية والمشددة على الرغم من محاولات الكتبة المستمرة تجاوز ذلك والاستعاضة عنها برموز خاصة بأصوات أخرى.

➢ الاستعانة باللغة العربية وغيرها من اللغات العاربة وباللهجات المختلفة لمعرفة كيفية نطق المفردات الاكدية بشكلها الصحيح إذ ليس من المنطق القول أن الإكديين أو البابليين لفظوا المفردة التي تدل على العين مثلاً إينُ īnu كما تعبّر عن ذلك العلامات المسمارية والخط اللاتيني بل لابد وان كان لفظ المفردة هو "عينُ" إلا أن قصور العلامات المسمارية حال دون كتابة صوت العين ودفع الكتبة للاستعاضة عنه برمز يدل على صوت قريب من صوت العين وهو حرف العلة أي ī وما يقال عن هذه المفردة ينطبق مثلا على المفردات الآتية:

حمارٌ = إمّيرُ	immēru
حَرثٌ = إرِبْشُ	erēšu
حدث = إدِبْشُ	edēšu
وغيرها كثير	

➢ القيام بدراسات لغوية مقارنة بين اللغة الاكدية واللغة العربية التي احتفظت بأكثر الصيغ الاسمية والفعلية القديمة كما أثبتت ذلك الدراسات اللغوية

المقارنة، للوصول إلى النطق الصحيح الذي كانت عليه العديد من الصيغ الاسمية والفعلية التي نقلت بوساطة الخط المسماري ومن ثم اللاتيني بغير صيغتها الأصيلة ولعل ابرز مثل على ذلك كيفية نطق ياء المضارعة الذي نقل بوساطة العلامة المسمارية التي تقرأ همزة مع الكسرة أو الكسرة المائلة

أو ونقلت بالحرف اللاتيني بحرف العلة المقابل لذلك i أو e في حين إننا نعتقد أن حرف المضارعة كان يلفظ كما يلفظ في اللغة العربية مع الكسر أي ي yi ويكون الفعل المصرّف عند ذلك كالآتي:

حرس أو حافظ = نَصارُ = naṣānu

يِنَصَّر yinaṣṣar - يِنصُر = yinṣur

في حين تقل بالعلامات المسمارية والحرف اللاتيني بصيغة

اِنَصَّر inaṣṣar – اِنصُر = inṣur

إن الوصول إلى أسلوب نطق اللغة الاكدية الصحيح ليس بالعمل الهين ولا يمكن لباحث أو باحثين أن يقوما بذلك بل انه بحاجة إلى جهود كبيرة وتعاون بين عدد من الباحثين المختصين باللغتين العربية والاكدية ومن المؤمنين بأصالة اللغة العربية والراغبين في إثبات ذلك علمياً وتاريخياً لذا نرى:

أولاً. أن يكون هناك تعاون وبحوث مشتركة على مستوى الدراسات العليا وغيرها بين المختصين باللغتين العربية والاكدية.

ثانياً. توجيه عدد من طلبة الدراسات العليا في قسم اللغة العربية لدراسة اللغة الاكدية تحت إشراف مشترك.

ثالثاً. تأليف معاجم لغوية عن اللغة الاكدية باللغة العربية وتأصيل المفردات الاكدية وتدوينها وفق أسلوب لفظها الصحي.

رابعاً. تدريس اللغة الاكدية لطلبة قسم اللغة العربية بدلاً من اللغات الفارسية والتركية وغيرها من اللغات التي لا تمت إلى لغتنا العربية بصلة، وقد صدر بخصوص ذلك فعلاً توجيهات مركزية أخذت بها إحدى الجامعات العراقية إلا إن كلية الآداب عندنا حفظت الكتاب للنقص الواضح لديها في عدد المختصين باللغة الاكدية من الذين يقدرون على تدريسها في قسم اللغة العربية. لذا توجب توفير الكادر اللازم لذلك لتنفيذ التوجيه الذي نرى انه بدعم دراساتنا اللغوية.

خامساً. تأليف كتب خاصة بالقواعد الاكدية مبسطة وسهلة القراءة مع العلم أن هناك ما يقرب من عشرة كتب باللغات الأجنبية لتعليم اللغة الاكدية للمبتدئين ولكن من منظور دراسة اللغات الأوربية. إن ما هو متوفر لدينا الآن كتاب واحد عن اللغة الاكدية كتب لغير المبتدئين.

سادساً. تدعيم أسلوب تدوين اللغة الاكدية بالخط العربي إلى جانب الخط اللاتيني وتحفيز الباحثين العرب والأجانب على اعتماده عند قراءتهم النصوص الاكدية. إن هذه المهمة وان بدت صعبة التحقيق

الآن وان هناك من لا يوافق عليها، إلا أننا نرى أنها ستصبح مقبولة لديهم بعد حين.

إنها دعوة مخلصة نرجو أن تأخذ طريقها إلى التحقيق ولنا في مبادرات جامعة الموصل الكثيرة في حقل تشجيع الدراسات اللغوية والمسمارية ما يبعث فينا الأمل على تحقيقها وقد قامت كلية الآداب في السنوات الأخيرة بتأسيس قسم للآثار وآخر للدراسات المسمارية ونعمل حاليا على وضع الخطط اللازمة لفتح معهدٍ عالٍ للدراسات المسمارية وقد توجت أعمالها قبل اشهر قليلة بفتح دراسة الدكتوراه في قسم الآثار قبل فيه حتى الآن اثنا عشر طالبا وطالبة.

إن أملنا هو في هؤلاء الشباب الذين نأمل أن يعمل بعضهم في الأقل على تحقيق ما نصبو إليه خدمة للغتنا العربية وتراثنا القديم (*).

والله من وراء القصد

(*) بحث القي في مؤتمر كلية الآداب الذي عقد في ١٠ / ١٠ / ٢٠٠٢م.

Abstract

Akkadian Language and its correct Pronunciation

Prof. Amer Sulaiman(*)

After girving a short survey of the history of Akkadian language and the decipherment of its cuneiform writing, the paper points out the difficulties that faced scribes, ancient and modern, when writing Akkadian by means of cuneiform and Latin scripts, both of which were not invented to write Akkadian. It also shows the affects of using these scripts on the language and proposes the ways through which one can know the correct pronunciation of Akkadian. It also suggests the steps which we ought to take in order to achieve our aims, first of which is to use Arabic Alphabet to write Akkadian.

(*) Member of the Academi of Sciences, Baghdad, College of Arts, University of Mosul.